إعداد: فريد توبة

إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف

قرر لبيب مع مجموعة من الكشافة زيارة منزل والد شهيد من شهداء الوعد الصادق وذلك في إطار مجموعة من الأنشطة الخاصة بفعاليات يوم 14 آب ذكرى النصر الإلهي.

اقترح معين قائد فرقة البرية زيارة والدَي الشهيد راني بزي اللذين يسكنان في نفس الحي الذي يقطنه.

أيد الجميع الفكرة وتحمسوا لهذا اللقاء ليتعرفوا أكثر على ذاك الشهيد الذي تناقل الناس الحديث عن تجاربه، فهو المجاهد في السرّ، و المعلم، والأسير، ومهندس العبوات التي كان وعدها صادقاً في وادي الحجير.

في اليوم التالي وعند الموعد المحدد استقبل والدَا الشهيد أفراد الكشافة الذين اصطفوا وأدوا التحية الكشفية، بعدها أهدى الجميع سورة الفاتحة لأرواح الشهداء، ثم بدأ الحاج أبو راني الحديث مستذكراً آخر ما دار بينه وبين ابنه الشهيد.. يومها قال راني..

«يا والدي، كلما أمعن العدو في سفك الدماء وارتكاب المجازر أكثر وأفرط في استخدام قوته العسكرية مدمراً قرى وأحياء بأكملها كلما دلّ على أنه أصبح أضعف، وبات النصر أقرب».

يقول والد الشهيد تعجبت من كلامه وسألته من أين أتيت بهذه المعادلة الغريبة؟! فالكل يرى بأن العدو إنما بذلك يظهر قدرته أكثر، فقال لي الشهيد..

«لماذا يقدم الملك على ظلم رعيته؟ أليس لأنه يخاف من أن يجتمعوا ضده ويطالبوا بحقوقهم التي سلبهم إياها؟ فهو لخوفه منهم وضعفه أمامهم يلجأ للبطش بهم وظلمهم حتى يخيفهم ويبعدهم عنه، وكلما أحس بأن سلطانه أصبح أضعف كلما ازداد بطشه محاولاً إطالة عمر مُلكه أكثر، وكذلك الآن هي إسرائيل.. فهي تدرك أنها في خطر شديد لذا تحاول أن تضرب وتدمر أكثر لأجل أن ترعبنا وتخيفنا وتجعلنا نستسلم لإرادتها.

أتعرف يا والدي من أين تعرفت على هذه المعادلة؟ تعرفت عليها من كلام الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة حيث يقول في قصار حكمه: « إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف»!